تفسير كلّ آية بجملة

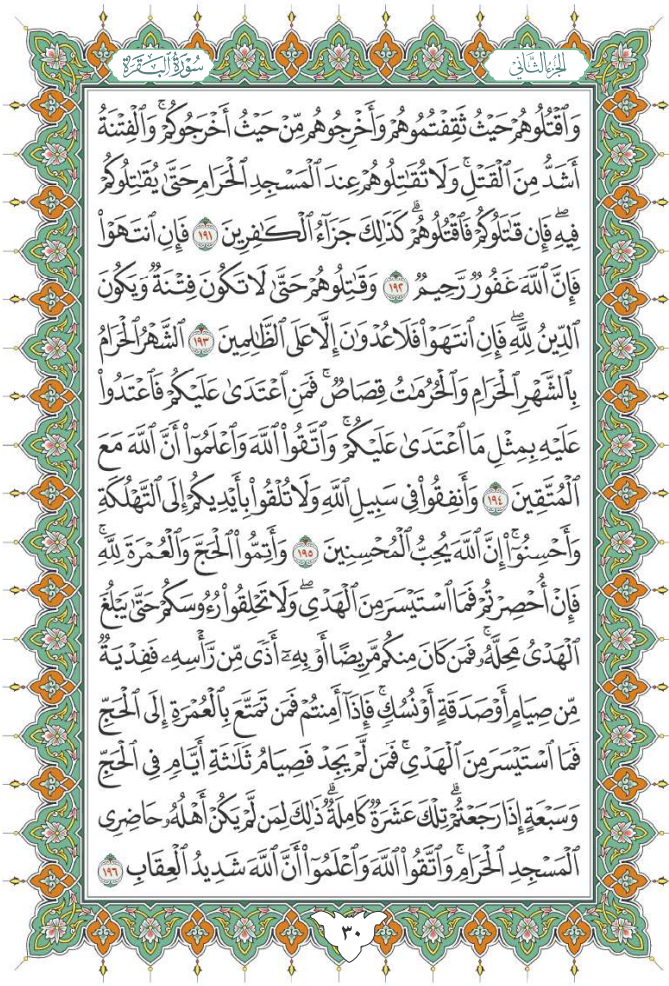

﴿١٩١﴾ واقتلوا أولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم، فأخرجوكم من مكّة وطنكم، وحملوكم على الخروج منه، ولا تتحرّجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشدّ من القتل في المسجد الحرام إذ حاولوا فتنة المؤمنين عن دينهم بالتّعذيب في مكّة حتّى فرّوا بدينهم من وطنهم، ولكن للمسجد الحرام حرمته فلا تنتهكوها إلا إذا هم انتهكوها بقتالكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بإذن الله، وكذلك جزاء الكافرين يُفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم.

﴿١٩٢﴾ فإن رجعوا عن الكفر ودخلوا في طاعة الإسلام، فإنّ الإسلام يجبُّ ما قبله، والله يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم بفضلٍ منه ورحمة.

﴿١٩٣﴾ وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدّكم عن دينكم بالإيذاء والتّعذيب، حتّى تُستأصل جذور الفتنة ويخلص الدّين لله. فإن انتهوا عن كفرهم فقد نجوا بأنفسهم وخلصوا من العقاب، فلا ينبغي الاعتداء عليهم حينئذٍ وإنّما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمعاصي وتجاوز العدل في القول والفعل.

﴿١٩٤﴾ فإذا اعتدوا عليكم في الشّهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فإنّه حرام عليهم، كما هو حرام عليكم، وإذا انتهكوا حرمته عندكم فقابلوا ذلك بالدّفاع عن أنفسكم فيه، ففي الحرمات والمقدّسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل، فمن اعتدى عليكم في مقدّساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثله، واتّقوا الله فلا تسرفوا في المجازاة والقصاص، واعلموا أنّ الله ناصر المتّقين.

﴿١٩٥﴾ جهاد الكفّار يكون ببذل النّفس كما يكون ببذل المال، فأنفقوا في الإعداد للقتال، واعلموا أنّ قتال هؤلاء في سبيل الله، فلا تقعدوا عنه، وابذلوا الأموال فيه فإنّكم إن تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدوّ وأذلّكم، فكأنّما ألقيتم أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك، فافعلوا ما يجب عليكم بإحسان وإتقان، فإنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يحسنه.

﴿١٩٦﴾ وأدّوا الحجّ والعمرة لله على وجه التّمام والكمال قاصدين بهما وجه الله، ولا تقصدوا بهما إصابة عَرَض دنيويّ من شهرة ونحوها. وإذا قصدتم الحجّ والعمرة وأحرمتم بهما فمنعكم عدوّ في الطّريق فلكم أن تتحلّلوا من إحرامكم بحلق رؤوسكم، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ما تيسّر لكم- من شاة أو بعير أو بقرة- والتّصدّق به على المساكين، ولا تحلقوا رؤوسكم حتّى تقوموا بهذا النّسك، ومن كان منكم مُحرِمًا وأذاه شعر رأسه لمرض أو هوامّ في رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه، وعليه حينئذٍ أن يفدي عن ذلك بصيام ثلاثة أيّام، أو التّصدق على ستّة مساكين بقوت يوم، أو ذبح شاة والتّصدق بها على الفقراء والمساكين. وإذا كنتم في دار الأمان والسّلم ولم يعترض طريقكم عدوّ، وقصدتم الحجّ

والعمرة وتمتّعتم أوّلًا بالعمرة إلى أن يحين وقت الحجّ فتحرموا، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيّام في مكّة وسبعة أيّام إذا رجع إلى أهله، وهذا على من لم يكن من أهل مكّة، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه إذا تمتّع.

الآيات ١٩٠-١٩٥
قواعد القتال في سبيل الله

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٩٠): عن ابن عبّاس ﷺ، قال: "نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لما صُدّ عن البيت هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية، ثمّ صالحه المشركون على أن يرجع عامه، ثمّ يأتي القابل، على أن يُخلوا له مكّة ثلاثة أيّام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء. وصالحهم رسول الله ﷺ، فلمّا كان العام المقبل، تجهّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشّهر الحرام في الحرم، فأنزل الله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني قريشًا"[١].

سبب نزول الآية (١٩٤): قال قتادة: أقبل نبيّ الله ﷺ وأصحابه في ذي القعدة، حتّى إذا كانوا بالحديبية، صدّهم المشركون، فلمّا كان العام المقبل دخلوا مكّة، فاعتمروا في ذي القعدة، وأقاموا بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردّوه يوم الحديبية، فأقصّه الله منهم، فأنزل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[٢].

سبب نزول الآية (١٩٥): قال الشّعبيّ: "نزلت في الأنصار، أمسكوا عن النّفقة في سبيل الله تعالى، فنزلت هذه الآية[٣].

وعن أبي جبيرة بن الضحاك قال: "كان الأنصار يتصدَّقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾"[٤].

وعن حذيفة "﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٥] قالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ»"[٦].

---

(١) ذكره الواحديّ في أسباب نزول القرآن، عن ابن عبّاس، ج١، ص٥٧.
(٢) ذكره الواحديّ في أسباب نزول القرآن، عن ابن عبّاس، ج١، ص٥٨.
(٣) ذكره الواحديّ في أسباب نزول القرآن، عن ابن عبّاس، ج١، ص٥٨.
(٤) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن أبي جبيرة بن الضحّاك، حديث رقم: ٩٧٠، كتاب: مسند من يعرف بالكنى، باب: من يكّنى أبا جبيرة أبو جبيرة بن الضحّاك، الحديث إسناده صحيح.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن حذيفة، حديث رقم: ٤٥١٦، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله...﴾.

عن أسلم أبي عمران، مولى بني تُجيب، قال: "كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد الأنصاري، فخرج صفّ عظيم من الروم، فصففنا لهم صفًّا عظيمًا من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صفّ الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلًا، فصاح في الناس، فقالوا: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما أُنزلت فينا معشر الأنصار، إنّا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرًّا من رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا فيها فأصلحنا منها. فردّ الله علينا ما هممنا به، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1] فكانت التهلكة في الإقامة على أموالنا التي أردنا، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازيًا في سبيل الله حتى قبضه الله تعالى»"[2]. فإذا أردتم الرّاحة في الدُّنيا، فقد رميتم بأيديكم إلى التهلكة. فالطالب في مدرسته لا يعرف الرّاحة إلّا بعد انتهاء العام الدِّراسي، أثناء إجازته الصَّيفية. وطالما لديه امتحانات، فهو مجبر على المذاكرة والاجتهاد. وكذلك أنت في الدُّنيا، فَهِيَ لَيْسَتْ مَكانًا للراحة، بل هي دار عمل وسعي للتعرف على الله وأسمائه الحُسنى. فلا مجال للتكاسل أو الغفلة. فالشَّيطان والدَّجال يعملان على صرف انتباهك عن الله تعالى، ويخططان لملء حياتك بالهموم والأوهام. يشغلانك بهمِّ الرِّزق والمستقبل، والقيل والقال، والجدل، حتّى تفقد تركيزك وتصبح عاجزًا عن تحقيق أهدافك والقيام بواجبك تجاه الله تعالى.

عليكم أن تستمروا في نشر دين الله والإنفاق في سبيل الله إلى آخر نَفَسٍ من أنفاسكم.

المناسبة: وردت هذه الآيات في الإذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرم إذا فوجئوا بالقتال بغيًا وعدوانًا، فهي متّصلة بما قبلها، لأنّ الآية السّابقة بيّنت أنّ الأهلّة مواقيت للنّاس في عباداتهم ومعاملاتهم وحجّهم، والحجّ يكون في أشهر هلاليّة مخصوصة، كان القتال فيها محرّمًا في الجاهليّة، فأوضحت هذه الآيات أنّه لا حرج عليكم في القتال في هذه الأشهر، دفاعًا عن دينكم، وتربيةً لمن يفتنكم عنه، وينكث العهد، لا لأهواء النّفوس، فالآية متّصلة بما سبق من ذكر الحجّ وإتيان البيوت من ظهورها حال الإحرام، ثمّ إنه بعد الأمر بالتقوى ذكر أشدّ أقسام التّقوى وأشقّها على النّفس.

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء كلمته ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أي الذين يبدؤونكم بالقتال، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ فتقاتلوهم قبل أن يبدؤوكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا ينصرهم ولا يؤيّدهم. ثمّ نسخ هذا بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾[3]. ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتحرّجوا من قتالهم في الحرم، فإنّهم هم الذين صدّوكم وبدأوكم بالأذيّة، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ﴾ مكّة ﴿حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ منها. ولمّا كان الجهاد فيه إزهاق النّفوس وقتل الرّجال، نبّه تعالى على أنّ ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله، والشّرك به والصدّ عن سبيله، أبلغ وأشدّ وأعظم وأطمّ من القتل، ولهذا قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فما أنتم مقيمون عليه من الشّرك، أكبر من

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن أسلم أبي عمران، حديث رقم: ٣٠٨٨، كتاب: التفسير، باب: بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، الحديث صحيح.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

القتل في الحرم. ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ابتداءً ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه وفي غيره ﴿كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ أي يُفعل بهم ما فعلوا بغيرهم، ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عن الشّرك وأسلموا، ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

هذه الآية تحاكي الواقع اليوم، فكأنّما تتكلّم عمّا يحدث اليوم في فلسطين وغزّة. فاليهود احتلّوا فلسطين عام ١٩٤٨م، وأخرجوا أهلها منها، فكأنّ الله تعالى يقول: كلّ من اعتدى عليكم أيّها المسلمون وأخرجكم من أرضكم، في أيّ زمان ومكان، فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدى عليكم، وأخرجوه من حيث أخرجوكم، لأنّ كلّ من أراد العبث بدينكم، فهو مهدور الدّم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ خالصًا ﴿لله﴾ بحيث لا يبقى في جزيرة العرب إلّا دينٌ واحد، ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ﴾ عمّا هم فيه من الشّرك وقتال المؤمنين فكفّوا عنهم، ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا تعتدوا، لأنّهم تخلّصوا من الظّلم وهو الشّرك، فلا عدوان عليهم بالمعاقبة والمقاتلة بعد ذلك، إذ لا يحسن أن يُظلم إلّا من ظَلَم.
ثمّ إنّ القتال الصادر منكم لهم في ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ في مقابلة الصدّ الذي صدر منهم لكم ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ يقتصّ بعضها من بعض.
ثمّ أمر تعالى بالعدل حتّى في حقّ المشركين، فقال ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فإن انتهكوا حرمة الشّهر الحرام، بالقتل فيه ومنعكم من البيت، ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فانتهكوا حرمتهم بالقتل في الأشهر الحرم، ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ﴾ فلا تنتصروا لنفوسكم ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنّصر والتّأييد في الدّنيا والآخرة.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في جهاد عدوّكم، ﴿وَلا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ولا تُمسكوا عن الإنفاق فيه، فتلقوا بأنفسكم إلى الهلكة، فيستولي عليكم عدوّكم. وإذا نظرنا إلى هذا النّهي من خلال وروده بعد آيات القتال، فهمنا منه أنّه نَهيٌ عن ترك الجهاد، وأنّ ترك الجهاد هو الهلاك. وهكذا فسّرها أبو أيّوب الأنصاريّ ﷺ كما ذكرنا سابقًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ﴾ أي بالتّفضّل على المحاويج والمجاهدين، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيحفظهم، ويحفظ عقبهم إلى يوم القيامة.
ومضمون الآية: الأمر بالإنفاق في سبيل الله، أي في خدمة الدّين وكلّ ما يوصل إلى مرضاته تعالى في سائر وجوه القربات ووجوه الطّاعات، لا سيّما ما كان نفعه أعمّ وأثره أبقى، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] كالمنفقين في تربية الأمم على آداب الدّين وفضائله، التي تفتح لهم أبواب سعادة الدّارين، قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ﴾[2]، وكذلك صرف

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.
(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي أمامة الباهليّ: ٢٦٨٥، كتاب: أبواب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، الحديث حسن صحيح.

الأموال في قتال الأعداء لإعلاء كلمة الله، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوّهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنّه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثمّ عطف الأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطّاعة، فقال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وعلّموا النّاس الإحسان، كنشر الأخلاق المحمّديّة، والتّعلّق بأسماء الله الحسنى والتّخلّق بها...

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١. وجوب قتال من يقاتل المسلمين، والكفّ عمّن يكفّ عن قتالهم، وهذا قبل نسخ هذه الآية.

٢. اعلموا أنّ الله مع المتّقين بالحفظ والتّأييد، وهذه قاعدة للنّصر.

٣. حرمة الاعتداء في القتال بقتل الأطفال والشّيوخ والنّساء إلا أن يقاتلن. فعَنِ ابن عبّاس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: ((اخْرُجُوا بِسْمِ الله تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله مَنْ كَفَرَ بِالله، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ))[1].

٤. حرمة القتال عند المسجد الحرام أي مكّة والحرم، إلّا أن يبدأ العدوّ بالقتال فيه فيقاتل.

٥. الإسلام يجبّ ما قبله، لقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٦. وجوب الجهاد وهو فرض كفاية ما وجد مؤمن يُضطهد لإسلامه، أو يُفتن في دينه.

٧. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: أوّلًا أخرِجُوا حبّهم وموالاتهم من قلوبكم، ثمّ أخرجوهم من أوطان الإسلام التي احتلّوها بالقوّة. فإذا أخرجكم الكفّار من أرضكم وسكنوا فيها مكانكم بالقوّة والعنوة، قاتلوهم لتخرجوهم وتعودوا الى بلدكم وأرضكم.

٨. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي حتّى لا يكون شرك ويكون الدّين خالصًا لله، بحيث لا يبقى في جزيرة العرب إلا دين واحد.

٩. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي أن تفتن بدينك فتبتعد عن الله تعالى ومنهجه، أشدّ خطرًا عليك أيّها الإنسان من أن تُقتل وتخسر الحياة الدّنيا.

١٠. من ينشر الفتنة في الدّين ويسعى لتكفير المسلمين أشدّ ممّن يقتلهم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))[2].

١١. احترام الشّهر الحرام وسائر الحرمات.

(١) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢٧٢٨، مسند: بني هاشم، مسند: عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، الحديث حسن لغيره.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٦، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان.

١٢. جواز المقاصّة والمجازاة لمن اعتدى، بحيث يعامل بما عامل به سواءً بسواء، ففي ذكر رِسَالَة عمر إِلَى سعد بن أبي وَقّاص وَمن مَعَه من الأجناد ﷺ وَنَصّهَا: أمّا بعد فَإِنِّي آمُرك وَمن مَعَك بتقوى الله على كلّ حَال، فَإِنّ تقوى الله أفضل الْعدّة على الْعَدوّ، وَأقوى المكيدة فِي الْحَرْب، وآمرك وَمن مَعَك أَن تَكُونُوا أَشدّ احتراسًا من الْمعاصِي من احتراسكم من عَدوّكمْ، فَإِنّ ذنُوب الْجَيْش أخوف عَلَيْهِم من عدوّهم، وَإِنَّمَا ينصر الْمُسلمُونَ على عدوّهم بِمَعْصِيَة عدوهم الله، وَلَوْلَا ذَاك لم يكن لنا بهم قُوَّة، لِأَنّ عددنا لَيْسَ كعددهم، وَلَا عدّتنا كعدّتهم، فَإِن استوينا فِي الْمَعْصِيَة كَانَ لَهُم الْفضل علينا وَالْقُوَّة، وَإِن لم نُنصر عَلَيْهِم بفضلنا، لنغلبهم بقوّتنا"[1].

١٣. ردّ الاعتداء والنّيل من المعتدي الظّالم البادي بالظّلم والاعتداء.

١٤. معيّة الله تعالى لأهل الإيمان والتّقوى والإحسان.

١٥. فضيلة الإحسان لحبّ الله تعالى للمحسنين.

١٦. إذا ترك المسلمون الجهاد ونشر الدّين وركنوا إلى الدّنيا، فقد ألقوا بأنفسهم إلى التّهلكة.

١٧. أهمّيّة النّفقة في سبيل الله أي في سبيل نشر هذا الدّين.

من أسماء الله الحسنى: الغفور الرحيم (سبق ذكره)

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

الحديث عن انتشار الإسلام بالسيف يحتاج إلى نظرة شاملة ودقيقة. إليكم بعض الحقائق التي تبرز جوانب متعدّدة من الموضوع:

١. القتال في غزوات النّبيّ ﷺ:

- خاض رسول الله ﷺ وأصحابه **٨٠ غزوة وسريّة**، لكن القتال لم يقع إلا في٧ من هذه الغزوات.
- عدد القتلى من المسلمين في جميع الغزوات والسرايا كان **١٣٩ مسلمًا**.
- عدد القتلى من غير المسلمين في نفس الغزوات والسرايا كان **١١٢ إنسانًا**.
- إجماليّ عدد القتلى في ٧ غزوات على مدى عشر سنوات كان **٢٥١ شخصًا**.

إذا قارنّا هذا بمجموع القتلى في الحرب العالميّة الثانية (حيث بلغ العدد أكثر من ٦٢ مليون قتيل)، نجد أنّ القتال في غزوات النّبيّ ﷺ كان محدودًا للغاية مقارنة بالحروب الكبرى التي تلتها.

٢. طبيعة الغزوات:

- غزوة **بدر، وأحد، والخندق** كانت دفاعيّة من أجل حماية المدينة ومجتمع المسلمين.

هذه الغزوات كانت ردًّا على الاعتداءات من قريش وغيرها، وليست غزوات عدوانيّة أو تهدف للفتح بالقوّة.

٣. انتشار الإسلام في العصور التالية:

- بعد مرور مائة سنة من حكم المسلمين في فارس، كانت نسبة المسلمين هناك حوالي ٥٪ فقط.
- في **العراق** كانت النسبة ٣٪.

(١) ذكره ابن الأزرق الأصبحيّ الأندلسيّ في بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، ص٦٢.

- في **مصر** كانت النسبة ٢٪.
- في **الأندلس** كانت النسبة ١٪.

زادت نسبة المسلمين في هذه البلدان تدريجيًّا مع مرور الوقت، وهذه الزيادة لم تكن بسبب السيف، بل بسبب **التعايش** والتبادل الثقافيّ والدينيّ، والتزاوج بين المسلمين وغيرهم.

٤. التحوّل الإسلاميّ عبر الأجيال:

- في **إيران**، كانت نسبة المسلمين ٢٥٪ في سنة ١٨٥ هـ، وارتفعت إلى ٥٠٪ في سنة ٢٨٥ هـ.
- في **مصر وسوريا** كانت نسبة المسلمين حوالي ٥٠٪ في سنة ٣٣٠ هـ.

٥. أسباب الانتشار:

- من أهمّ الأسباب التي ساهمت في انتشار الإسلام كان **التزاوج** بين المسلمين والمسيحيين.
- **المغول** الذين دمّروا العالم الإسلاميّ في فترة من الفترات، أصبحوا بعد ذلك مسلمين، وصارت دولتهم المسلمة نموذجًا آخر على تحوّل الأمم وليس بسبب القوّة العسكرية فقط.

الاستنتاج: إذًا، الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يظنّ البعض، بل انتشر **بالدعوة، والتعايش، والتسامح، والتأثير الثقافيّ والدينيّ**، فالفتوحات الإسلاميّة كانت ردًّا على الهجمات والدفاع عن النفس في بعض الأحيان، وأمّا في الكثير من المناطق، فقد تحوّل الناس إلى الإسلام بطرق سلميّة، عبر اقتناعهم به، كما في حالة المغول وحضارات أخرى.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- تذكّر مسلمًا أخطأت في حقّه، واعتذر منه ولو برسالة حتّى يحبّك الله سبحانه، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾
- كن عونًا لأحد العاملين في خدمة هذا الدّين، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
- أحسن اليوم إلى فقير، أو عاجز؛ فإنّ الله تعالى يحبّ منك هذا، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.
- عليك أن تقتطع من وقتك وجهدك لنشر هذا الدّين بشتّى الطّرق والوسائل التي تقدر عليها، ولا تكتفي بالعبادات التي يقتصر نفعها عليك، ومن ثمّ تركن الى متع الدّنيا المباحة، بل عليك أن تعطي من وقتك لنشر الدّين ونفع الآخرين.

مشروعيّة القتال في الإسلام

الأحكام الشّرعيّة:

الحكم الأوّل: متى فُرض الجهاد على المسلمين؟

لم يختلف العلماء في أنّ القتال قبل الهجرة كان محظورًا على المسلمين، وذلك لمدّة ثلاث عشرة سنة من بداية البعثة،

والحكمة في الكفّ عن القتال في بدء الدّعوة لأسباب أهمّها:

أ - كان المسلمون في مكّة يعيشون في بيوت آبائهم وأهليهم،، وكان أهلوهم المشركون يعذّبونهم ليفتنوهم عن دينهم، ويردّوهم إلى الشّرك والضّلال، فلو أذن للمسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك، لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كلّ بيت، وأن يقع دم في كلّ أسرة، وليس من مصلحة الدّعوة أن تُثار حرب دمويّة داخل البيوت، فلمّا حدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[1].

قال المناوي في شرح الحديث: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ) صُلب شديد، (فَأَوْغِلْ) أي سيروا (فِيهِ بِرِفْقٍ) من غير تكلّف، ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه، فتعجزوا وتتركوا العمل[2].

وقال الغزاليّ: أراد بذلك أن لا يُكلّف نفسه في أعماله الدينيّة ما يخالف العادة، بل يكون بتلطّف وتدريج، فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطّريق الأقصى في التبدّل، فإنّ الطبع نفور، ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئًا فشيئًا حتّى تنفصم الأخلاق المذمومة الرّاسخة فيه، ومن لم يراع التّدرج، ترقّى إلى حالة تشقّ عليه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبًا عنده ممقوتًا، وما كان مكروهًا عنده مشربًا هنيئًا لا ينفر عنه[3].

الحكم الثاني: هل يباح القتال في المسجد الحرام؟

دلّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المسجد الحرام حتى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ على حرمة القتال في المسجد الحرام، إلا إذا بدأ المشركون بالعدوان، فيباح لنا قتالهم دفعًا لشرّهم وإجرامهم، ولا يجوز لنا أن نبدأهم بالقتال عملًا بالآية الكريمة.

حكمة التّشريع

الصّراع بين الحقّ والباطل منذ القدم منذ بدء هذه الحياة، لا يهدأ ولا ينتهي ولا يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها! ولا بدّ لكلّ أمّة من أمم الأرض، أن تحيا حياة العزّة والكرامة، أن تستعدّ الاستعداد الكامل لمجابهة عدّوها بكلّ ما تملك من قوّة، وأن تأخذ بأسباب النّصر.

فإذا وقف أحد في طريق الدّعوة، وأراد أن يصدّها عن المضيّ في طريقها، فلا بدّ من دحره، لتصل هداية الله إلى النّفوس، وتعلو كلمة الحقّ، ويأمن النّاس على حريّتهم الدّينيّة، ولذلك شرع القتال لدفع عدوان الظّالمين. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حتى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدين للَّهِ﴾. ولا يُقاتل إلا الباغي المعتدي، الذي يريد أن يفرض إرادته على الأمّة بالقهر والسّلطان، ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الذين يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تعتدوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾.

---

(١) والمنبتُّ هو الذي انقطع به السّير في السّفر وعطّلت راحلته ولم يقض وطره، فلا هو قطع الأرض التي أراد، ولا هو أبقى ظهره، أي دابّته التي يركبها لينتفع بها فيما بعد. وهكذا من تكلّف من العبادة ما لا يطيق، ربّما مَلَّ ويسأم، فينقطع عمّا كان يعمله.

(٢) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٤٧٤٣، كتاب: جماع أبواب صلاة التطوّع، وقيام شهر رمضان، باب: القصد في العبادة، والجهد في المداومة، الحديث مرسل.

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير، حديث رقم: ٢٥٠٨، باب: حرف الهمزة، ج٢، ص٥٤٤.

(٤) ذكره الغزاليّ في إحياء علوم الدين، باب: الركن الأوّل في نفس الشكر، ج٤، ص٨٠.

باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارًا منه، وكراهة القدوم عليه:

قال تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبّاس ﷺ: "أَنَّ عمر بن الخطاب ﷺ، خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسَرغ لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأوائل، فدعاهُم فاستشارهم، وأخبرهم أنّ الوباء قد وقع بالشام، فاختلَفوا. فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجَع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدِمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عنّي. ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلَفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عنّي. ثم قال: ادعُ لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجِع بالناس ولا تقدِمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبّح على ظهر، فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفِرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف - وكان متغيّبًا في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ﴾ قال: فحمد الله عمرُ ثمّ انصرف"[1].

من الكبائر: أذيّة عباد الله والتّطاول عليهم والسُّخرية منهم (التّسلّط والتنمّر):

حَرَّمَ الإسلام الإيذاء والاعتداء ولو بكلمة أو نظرة، فقال تعالى: ﴿...وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2]

وكذلك يحرُم التّسلّط، وهو ذلك السّلوك العدوانيّ المتكرّر الّذي يهدف إلى إيذاء شخص آخر جسديًّا أو معنويًّا من قِبل شخص واحد أو عدّة أشخاص، وذلك بالقول أو الفعل، للسّيطرة على الضّحيّة وإذلالها أو لنيل مكتسباتٍ غيرَ شرعيّةٍ منها. (أو ما يعرف بظاهرة التنمّر Bullying).

وكذلك تعيير الإنسان بنقصٍ عنده، إن كان ساذجًا أو جبانًا، أو ضعيفًا أو فقيرًا، أو يُعاني من نقصٍ ما.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكونوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بَعْدَ الإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ﴾[3].

وقد حَرَّمَ الإسلام الإيذاء والاعتداء ولو بكلمة أو نظرة، فقال تعالى: ﴿...وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4]، وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ﴿لا ضَرَرَ وَلا ضِرارَ﴾[5].

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عبّاس، حديث رقم: ٥٧٢٩، كتاب: الطبّ، باب: ما يذكر في الطاعون.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.
(٣) سورة الحجرات: ١١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي سعيد الخدري. رقم الحديث: ٢٣٤٥. كتاب: البيوع. باب: وأما حديث معمر بن راشد. الحديث صحيح.

من الأخلاق المحمّديّة: المواساة والمؤازرة والإحسان إلى الآخرين

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمَيْ الله تعالى **"الرّؤوف المعين"**.

والتّخلّقُ باسم الله **"الرّؤوف"** يكونُ بأن ترأفَ بِالخَلقِ وتشعرَ بهم وتتعاطفَ معهم، فتفرح لفرحِهم وتواسيهم في حزنهم.

والتّخلّقُ باسم الله تعالى **"المعين"** يكونُ بأن تُقَدِّمَ ما تستطيعُ مِن عونٍ وإحسانٍ إلى كلّ خَلْقِ الله.

- كيف تُحبّ أن يعاملك الآخرون عندما تكون في ضيق؟ ماذا يُواسيك عندما تكون مُنكسرًا، حزينًا، وحيدًا ولا تدري ماذا تفعل؟ ألَا تُحبّ أن تسمع كلمةً طيّبةً تُريحك، ووجود شخص يؤازِرُك ويُواسيك ويَدعمُك ويُقوّيك؟ كن لغيرك كما تحبّ أن يكونَ لَكَ الغيرُ.
- عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قالَ: قيل: يا رَسولَ اللهِ أَيُّ الْعِبادِ أَحَبُّ إِلى اللهِ؟ قالَ: **«أَنْفَعُ النّاسِ لِلنّاسِ»** قيلَ: فَأَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قالَ: **«إِدْخالُ السُّرورِ عَلى قَلْبِ المُؤْمِنِ»** قيلَ: وما سُرورُ المُؤْمِنِ؟ قالَ: **«إِشْباعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشى مَعَ أَخيهِ في حاجَتِهِ كانَ كَصِيامِ شَهْرٍ وَاعْتِكافِهِ وَمَنْ مَشى مَعَ مَظْلومٍ يُعينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبُهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الخُلُقَ السَّيِّءَ يُفْسِدُ الأَعْمالَ كَما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ»**[1].
- لا تبخل بكلمةٍ طيّبةٍ فكلّ واحد منّا يحتاجها، قد تنقذ إنسانًا من مشكلة يواجهها بنصيحة حكيمة أو بتشجيع على فعل ما هو خير...

إدخال السّرور لقلوب النّاس لا يحتاج لمال أو قوّة أو علم، بل كلمة طيّبة وشعور قلبيّ ومعاملة حسنة. (وما عُبِد الله بأفضل من جبر الخواطر)، قال الله تعالى: ﴿...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ﴿... وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾[3]

- النّيّة القلبيّة بالمواساة والمؤازرة والإحسان للإنسان والحيوان والنّبات والطّبيعة تجعل الخير يجري تلقائيًّا على لسانك وأفعالك، فتصبح المؤمن الّذي يحبّه الله ورسوله. والله يحبّ أن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا. وتذكّر أنّ كلّ ما لديك وما أنت فيه هو من فضل الله عليك وإحسانه.
- من وضع جهده في معونة غيره كفاه الله تعالى جهدًا كبيرًا لنفسه وضاعف له أجره. قال ﷺ: **«وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخيهِ...»**[4]. قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[5].
- إنّ المساعدة قيمةً لا تضاهيها قيمة، إذ إنّها تنعكس إيجابيًّا على من قدّم المساعدة وعلى من تلقّاها... قدّم خيرك، ساعد غيرك... ساعد الأعمى في اجتياز الطّريق... ابتسم للطّفل... كُن عونًا للمسنّ... قف ليجلس غيرك... علّم الآخرين أنّ خدمة النّاس لها مذاق لا يعلمه إلّا من قام به... ومن ذاق عرف...

---

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، عن ابن عمر ﷺ، كتاب: ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد، باب: مالك بن أنس فمنهم إمام الحرمين.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث: ٣٨، كتاب: الذكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

من الأخلاق المحمّديّة: التّقوى والإتقان ومحاسَبةُ النّفس على الخطأ والتّقصير

- **التّقوى هي الحَذَرُ مِن كلِّ ما أَمَر اللهُ أن يُحذَرَ مِنه**، كَتضييعِ الواجباتِ، وارتكابِ المُحرّماتِ أو المكروهاتِ، والأخلاقِ السّيّئةِ. **والتّقوى هي أن تعلمَ الحقَّ لتتّبِعَه وتبحثَ عنِ الباطلِ لتجتَنِبَه ولو لَمْ يَرَكَ أَحَدٌ**، فَيَغْلِبَ عقلُكَ هَواكَ. ويُتَرْجَمُ ذلك في أداءِ الواجباتِ تِجاه اللهِ ﷻ، والوالدَيْنِ، والوطنِ والمجتمعِ. والمُتّقي إذا جاءَه أيُّ أمرٍ، يقذِفُ اللهُ في قلبِهِ نورًا، فَيبصرَ إن كان هذا الأمرُ صحيحًا أو خطأً، كما جاءَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وَآمِنوا بِرَسولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ مِن رَحمَتِهِ وَيَجعَل لَكُم نورًا تَمشونَ بِهِ وَيَغفِر لَكُم وَاللهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾[1].
- إنّ **الإكثارَ مِنَ الصّلاةِ والسّلامِ على النّبيّ** ﷺ هو الطّريقُ الأسرعُ والأقوى لِيُخرِجَكَ سبحانَهُ وتعالى مِن الظُّلُماتِ إلى النّور، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]. ثمَّ يكون ذلك بالتّخلّقِ بالأخلاق المُحمّديّةِ الّتي تمحو الأخلاقَ الذّميمةَ، أي عبر التّخلّقِ بأسماء اللهِ الحُسنى. وَمَن تَحلّى بالتّقوى، وَجَدَ السّعادةَ في كُلّ صُوَرِها وَأشكالِها، ومنها، لا يخاف من المستقبل ولا يحزن على ما فات، وقد قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَولِياءَ اللهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ * الَّذينَ آمَنوا وكانُوا يَتَّقونَ﴾[3].
- **الإتقانُ مِن التّقوى**، فالمتّقي في عمَلِهِ هو الّذي يُتقِنُ عمَلَه، أي يأتي به على أفضلِ ما يكون كأنَّ صاحبَ الأمرِ يطّلعُ على كُلّ تفصيلٍ فيه. ويفعل أقصى جهدِه للقيامِ بأمرٍ مِن دونِ غشٍّ أو تقصيرٍ وَيَحدُثُ تغييرٌ إيجابيٌّ في سُلوكِه ونشاطِه. وفي تربيةِ الأبناءِ، علينا أن نُعلّمَهم التّقوى بأن يختاروا ما يُحِبُّه اللهُ على ما يُحبُّه هواهُم، فتزيدُ التّقوى في قلوبِهم شيئًا فشيئًا، لِيتركوا ما يُحبّون لأجلِ ما يُحِبُّه اللهُ تعالى.
- **ذُكِرَت التّقوى في القرآنِ في آياتٍ كثيرةٍ. فالتّقوى بينَك وبينَ اللهِ، وأيضًا بينك وبين الخَلْقِ، أي في العباداتِ والمُعاملاتِ:** وهي أن تتّقيَ اللهَ في زوجتِكَ أو في زوجِكِ، في أولادِكِ ووالدَيْكَ، في عبادَتِكَ ودراستِكَ وعملِكَ، مع الغريبِ والقريبِ. فإنّ التّقوى في القلبِ واللهُ ناظرٌ إلى قلوبِنا، وهي عبرَ اجتنابِ الأخلاقِ الذّميمةِ والمعاصي والكبائر. فالحبُّ أجملَ دافعٍ للقيامِ بأيّ عملٍ، فيكون تلقائيًّا، من دونِ تفكيرٍ أو بذلِ مجهودٍ وعلى أفضلِ صورةٍ، لأنّك حين تُحبُّ... تُعطي مِن دون أن تحسبَ... وذلك أعلى مقامًا مِن القيامِ بعملٍ خوفًا أو لأنّكَ مُراقَبٌ أو ستُحاسَب.
- **هل تعلمُ ما أكثرَ ما يُدخِلُ النّاسَ الجنّة؟... تقوى اللهِ وحُسنُ الخُلُقِ.** والتّقوى صِفةٌ عامّةٌ للمسلمِ ولِغَيْرِ المسلمِ وقد سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكثرِ ما يُدْخِلُ النّاسَ الجَنَّةَ، قالَ: «تَقْوى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»[4]. فالمُتّقي بِغَضِّ النّظرِ عمّا هو دينُه وما هي قِيَمُه، هو إنسانٌ يَجتَنِبُ فعلَ الممنوعاتِ أو فعلَ الأشياءِ السّيّئةِ حسب عُرْفِهِ وَقِيَمِهِ، وعندَ المسلمِ حسبَ شريعَتِهِ. وكلُّ مُتّقٍ مهما كان دينه سينتهي به الأمرُ إلى الإسلامِ، بطريقةٍ أو بأُخرى. فالمتّقي هو الّذي يُغَلِّبُ العقلَ على الهوى، وقد قالَ تعالى: ﴿وَقالُوا لَو كُنّا نَسمَعُ أَو نَعقِلُ ما كُنّا في أَصحابِ السَّعيرِ﴾[5] أي لو كنّا نعقل فنغلّب منهج العقل على الهوى لَنَجَوْنا في الآخرة.

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣.
(٤) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث: ٢٠٠٤، كتاب: أبواب البرّ والصّلة، باب: ما جاء في حسن الخلق. وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) سورة الملك، الآية: ١٠.

التّوجيهات:

- الإنفاق في سبيل الله أمان للفرد والمجتمع، والإمساك عن النّفقة هلاك، ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.
- أتقن الأعمال الخيريّة التي تعملها لتنال محبّة الله تعالى، ﴿وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

في السّيرة والشّمائل

قصص من حياة النّبيّ ﷺ:

لقد حرّمَ الله تعالى على النّبيّ ﷺ وآل بيته أن يتناولوا أيّ طعامٍ أو أن يأخذوا أيَّ مالٍ يُخرجُه النّاسُ كَصَدَقَةٍ، وأجازَ لهم قبولَ الهديّةِ.

قالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلى أَهْلي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ ساقِطَةً عَلى فِراشي، فَأَرْفَعُها لِآكُلَها، ثمّ أَخْشى أَنْ تَكونَ صَدَقَةً، فَأُلقيها»[1]. أي إنّ النّبيّ ﷺ كان إذا ساوره الشكّ في أنّ التّمرة الملقاة على السّريرِ قد تكون صدقةً، فلا يُخاطرُ في هذا الأمرِ الّذي حرّمَه الله عليه فيلقيها وإن كان جائعًا، فَالحَذرُ واجِبٌ.

وكذلك يربّي ﷺ حفيدَيْهِ الحسن والحُسين رضي الله عنهما على التّقوى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: "كانَ رَسولُ الله ﷺ يُؤْتى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذا بِتَمْرِهِ، وَهَذا مِنْ تَمْرِهِ حَتّى يَصيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ رضي الله عنهما يَلْعَبانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُما تَمْرَةً، فَجَعَلَها في فيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسولُ الله ﷺ، فَأَخْرَجَها مِنْ فيهِ، فَقالَ: «أَما عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لا يَأْكُلونَ الصَّدَقَةَ»"[2]، عِلمًا بأنّ الحسن كان عمرُهُ يومَها حوالي خمس سنوات، فلم يتهاون رسول الله ﷺ بالأمر ويبرّره بالقول: "هذا طِفلٌ صغيرٌ وغيرُ محاسَبٍ وقد رَفَعَها إلى فيه فَلَن أَكْسِرَ خاطِرَه"، بل عَلَّمَهُ وَنَشَّأَهُ على تقوى الله تعالى.

وصيّة أبي بكر الصّديق رضي الله عنه لجنود الإسلام قبل فتح بلاد الشّام (١٢ هجرية)

قَالَ أبو بكر الصّديق رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ: قِفُوا أُوصِيكُمْ بَعشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي: لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تقذفُوا نَخْلًا، وَلَا تَحْرِقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً، وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأكَلَةٍ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَوْفَ تَقْدمُونَ عَلَى أَقوَامٍ يَأْتُونَكُمْ بِآنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهِ، وَسَوْفَ تَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوسَاطَ رُؤوسِهِمْ وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ العصائب فَاخْفِقُوهُمْ بِالسُّيُوفِ خَفْقًا، اندَفِعُوا باسم الله، أَفْنَاكُمُ الله بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ"[3].

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٤٣٢، كتاب: في اللّقطة، باب: إذا وجد تمرة في الطّريق.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، رقم الحديث: ١٤٨٥، كتاب: الزّكاة، باب: أخذ صدقة التّمر عند صرام النّخل.

(٣) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن الحسن بن أبي الحسن، كتاب: عن دمشق والشام، باب: ذكر بعث النّبيّ ﷺ أسامة قبل الموت وأمره إيّاه، ج٢، ص٥٠.

في السّلوك

الإشارة: الإشارة من الآية إلى مجاهدات النّفوس؛ فإنَّ أعدى عدوّك نَفْسُك التي بين جنبيك. أي استوفِ أحكام الرّياضات حتّى لا يبقى للآثار البشريّة شيء، وتُسلِم النَّفْسَ والقلبَ لله، فلا يكون مُعارِض ولا مُنازِعُ منك لا بالتّوقّي ولا بالتّلقّي، لا بالتّدبير ولا بالاختيار بحالٍ من الأحوال؛ تجري عليك صروفه كما يريد، وتكون محوًا عن الاختيارات، بخلاف ما يرد به الحكم، فإذا استسلمت النّفس فلا عدوان إلّا على أرباب التّقصير، فأمّا من قام بحقّ الأمر تقصّى عن عهدة الإلزام.

قوله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

إنفاق الأغنياء من أموالهم، وإنفاق العابدين بنفوسهم لا يدّخرونها عن العبادات والوظائف، وإنفاق العارفين بقلوبهم لا يدّخرونها عن أحكامه، وإنفاق المحبّين بأرواحهم لا يدّخرونها عن حُبّه.

إنفاق الأغنياء من النِّعم وإنفاق الفقراء من الهِمَم.

إنفاق الأغنياء إخراج المال من الكيس، وإنفاق الفقراء إخراج الرّوح عن أنفس النّفيس، وإنفاق الموحِّدين إخراج الخَلْق من السِّرّ.

قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الإشارة فيه إلى إمساك يدك عن البذل؛ فمن أمسك يده وادَّخر شيئًا لنفسه فقد ألقى بيده إلى التّهلكة. ويقال: إلى إيثار هواك على رضاه.

ويقال ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي الغفلة عنه بالاختيار.

ويقال تَوَهُّمُ أنّك تعيش من دون لطفه وإقباله لَحْظَةً.

ويقال الرّضا بما أنت فيه من الفترة والحجاب.

ويقال إمساك اللِّسان عن دوام الاستغاثة في كلّ نَفَسٍ.

قوله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الإحسان أن ترفق مع كلّ شيء. والإحسان أيضًا ترك جميع حظوظك من غير بقيّة، والإحسان أيضًا تفرّغك إلى قضاء حقّ كلّ أحد علّق عليك حديثه. والإحسان أن تعبده على غير غفلة. والإحسان أن تعبده وأنت بوصف المشاهدة.

في الإعجاز العلميّ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٩٥.

في أشراط السّاعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تُقاتِلُوا اليَهُودَ، حتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يا مُسْلِمُ، هذا يَهُودِيٌّ وَرائِي فاقْتُلْهُ»[1]، وعنه ﷺ، قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[2].

عَنْ نَهِيكِ بْنِ صُرَيْمٍ السَّكُونِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُقَاتِلَ بَقِيَّتُكُمُ الدَّجَّالَ بِالْأُرْدُنِ عَلَى النَّهَرِ أَنْتُمْ شَرْقِيَّهُ وَهُمْ غَرْبِيُّهُ»[3].

في الأدعية والأذكار

اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ فِعلَ الخَيْرات، وتركَ المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمَني. وإذا أرَدْتَ فتنةً في قومٍ، فَتَوَفَّني غَيْرَ مَفْتونٍ. وأسألُكَ حُبَّك وحُبَّ مَنْ يُحبُّك، وحُبَّ عَمَلٍ يقرِّبني إلى حُبِّك.

صلاةُ القَلْبِ السّليم:

يا الله يا رحمنُ يا حَيُّ يا قَيومُ يا ذا الجلالِ والإكرامِ، صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ مَن فَضَّلْتَهُ عَلى العالمين وكرَّمْتَهُ تَكْريمًا، صَلاةً تَجْعَلُني رَؤوفًا رَحيمًا، تَقِيًّا عَليمًا، عَفيفًا مُسْتَقيمًا، قَوِيًّا شُجاعًا حَليمًا، عَفُوًّا حَيِيًّا كريمًا، عادلاً للحقِّ مُقيمًا، وقلبي سليمًا، وعقلي حكيمًا، وخُلُقي عظيمًا، وخَلْقي وسيمًا، ولساني صَدوقًا ينشرُ خيرًا عميمًا، وَدِيْني قويمًا، وممَّن تُكْرِمُهُمْ بِرُؤْيَتِكَ وتُكَلِّمُهم تَكليمًا، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا، كلّما سَبَّح بِحمدِك شيءٌ وعَظَّمك تعظيمًا.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٩٢٦، كتاب: الجهاد والسير، باب: قتال اليهود.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٩٢٢، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتّى يمرّ الرجل بقبر الرجل.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، عن نهيك بن صريم، حديث رقم: ٢٤٥٨، كتاب: الرجال، باب: نهيك بن صريم رضي الله عنه ، الحديث حسن ورجاله ثقات.